مشاعر مصورة

تشيرنوبل

لقد بكينا واكتفينا، وحان الوقت ليروا بدايتنا ونهايتنا

مالك أمير أحمد

الكتاب: شَيْبَ

المؤلف: مالك أمير أحمد

التصنيف: قصة قصيرة

النوع: إجتماعية - حزينة - واقعية

تصميم الغلاف: مالك أمير

"النهاياتُ التعيسة تُعلِّمنا أن البداياتِ حقًّا زائفةٌ لأبعد الحدود. أن البداياتِ بمائةِ وجهٍ والنهايات هيَ عُمق الحقيقة. النهايات بداياتٌ لفصولٍ جديدة."

مالك أمير

الإهداء

من حارب من أجل لقمةِ عيشه ورأى العجب العُجاب، ورأى الظلمَ والعذاب، ومن بكى بعد أن حققَ النجاح، وتحدى العالمَ وأصبحَ فارسً على طريقِ الفلاح، هؤلاء يستحقون ملايينَ الإبتساماتِ والإهداءات.

أطبقَ وداجِ الصبحِ على الأنفاسَ، واختبأت الشمسُ خلفَ الغيومُ؛ خائفةً من قدرها المحتومَ، فتاةٌ بالدمعِ تزينت، وتكحلت بأوجاعِ السنينِ والأيامَ، والِداها بالضربِ يبرحانها وهيَ صامدةٌ كالأوتادَ، ارتدت ملابس الحزانَّ، وذهبت لجامعتِها وهيَ ترى السخريةُ والبلاهة، أشفقت على حالِ المساكينِ اليتامى وهيَ تسيرُ بمحاذات الطرقاتِ خائفةً من الناسَ، وصلت لمنزلها بعدَ وقتٍ ليسَ ببعيدٍ أو قريبَ، قالَ والدها متبجحً ضاربً إياها بعصىً كالخشبِ:

– سأكسر عظمكِ يا فتاة، إن تأخرتِ عن ميعادكِ الذي حددتهُ لكِ، والآن اذهبِ لغرفتكِ ولا تخرجِ منها إلا في المساء، هل فهمتِ يا حمقاء، أم أكسر هذه الجمجمةُ التي بها الكثيرُ من الغباء، إن لم تُنفذي أوامري يا شَيْبَ فسأطعمكِ للكِلابَ، وهذا تحذيري الأخيرُ إما أن تسمعيه أو تهلكينَ بعدَ أعوامَ

أنينٌ في قلبٍ منكسرٍ جعلَ الدمعَ منهمرَ، لازت الفتاةُ لملجئها كأنها ذاهبةٌ لتدفِنَ الروحُ في القبر، جلست تُعاتب القدرَ جاعلةً النورُ ينطفِئَّ.

(شَيْب)

من غيري ساخطٌ على ابتلاءاتِ الرب، يذكرني هذا بالضربِ والجلد، ذهبتُ لغرفتي وأنا داخلي هالِكٌ وكأنهُ العدم، جلستُ على كرسيٍ كأنهُ يحملُني، بحثتُ في الإنترنت عن صديقٍ يؤنسُني، لكني لم أجد شيءً يُذكر، وبعد عناءٍ في البحثِ صادفتُ فتاةً لا أعرِف لها اسمً أو فعلَ، أرسلتُ لها رسالةً أقولُ فيها والعرقُ يغمرُ الوجهَ "مرحبًا هل يمكننا أن نكونَ أصدِقاءَ، أم أنني في العالمِ وحدي"، انتظرتُ معظمَ الوقتِ لكن ما من استجابةٍ لردي، خرجتُ من الغرفةِ عَليّ أجدُ طعامَ، فتحتُ الثلاجةُ كاللصِ، وأخذتُ منها ما أحتاجه، عدتُ للغرفةِ حازنةً على ما جرى لي من الأهلِ، في الحياةِ تودُ لو أنَّ الربَ غيرُ موجودَ لكِ تقتل الأهلَ من الوجودَ، لقد ضاقت بي الحياةُ كأنها مشنقةٌ تلتفُ حولَ العنقَ، بئسَ تلكَ الحياةِ المهلكةَ، وجدتُ ردً على رسالتي يالا العجبِ، قرأتُ الرسالةَ بقلبي، كان فحواها يُعبِرُ عن الألمِ "أنتِ لستِ وحدكِ، بالطبع يشرفني أن نُصبِحَ صديقتين، تكلمي بكل ما تريدين، سِرُكِ في بئرٍ معي"، ناشدتُ الهواء

والرياح بأني فرحة بعد القهرِ والمعاناة, قلتُ لها وقلبي ينوي القفزَ من المكانِ الآن:

– قد يبدوا اسمي عجيباً أو غريباً بالنسبةِ لكِ لأن اسمي هو (شَيْب), قسوة الأهلِ تكسِرُ الظهرَ يا صديقتي, أعاُني هنُا من ضرب أبي لي بالعصى كل يومٍ بسبب أو بدونه, وأمي تنهالُ عليّ بأقذع الألفاظ ولا أعرف السبب, وكل يومٍ أفكر في طريقةٍ للانتحار كي أتخلص من هذا العذاب المهين, هل هناك أفظع من الموتِ البطيء, أو عيشِ حياةٍ مع قطيعٍ من البشرِ يؤمنون بأن هناك إله في السماء, هذا فقط غباء, فلا وجودَ لإله في السماءِ أبداً بل بشرٌ يتحكمون في كل الأشياء, هل لي بسؤال هل تؤمنين بوجودِ إله يا صديقتي

أرسلتُ لها الكلِمات على سنفونيةٍ من الأغنيات, أغنياتِ القلب الذي مات, جاء الردُ في ثوانٍ خطفها الحزنُ من أمامِ الشاشات, كان ردها بمثابةِ صاعقةً حولتني لتمثالِ شمعٍ ثايتٌ بلا حراك:

– نعم أأمن أن هناك إله في السماء, أأنتِ ملُحدة أم ماذا, أعتقد أن والِداكِ قد تربوا تربية غير سوية منها الضرب الكثير وانعدام المعرفة والتفكير سببت لهم عقدة نفسية, وهذه العقدة يخرجانها عليكِ يا شَيْبَ, الصدمةُ القوية فقط هيَ

التي ستجعلهما يستوعِبان مدى الخطاء الفادح الذي قاما به في حقكِ، لا، اسمُكِ جميلٌ جداً ومميز يا شَيْبَ، تفكرين بالانتحار هل هذا هو حلُكِ الوحيد هذا ضعف وأنتِ قوية ولستِ ضعيفة؛ وإن انتحرتِ فلن أحادثكِ مُجدداً، هل سمعتِ؟! أم أكرر كلامي مرة أخرى

لم أجبها وذهبتُ في ثباتٍ عميق.

مرَ أسبوعينِ من الأحاديثِ بينَ الفتاتانِ، كان الكلام بينهما يحمِلُ الأحاسيسِ والمعانِ، لكن تحولَ كل ذَلِكَ إلى عداءٍ، اتضحَ لها أن تلكَ الفتاةَ تسجِلُ كل كلِمةٍ تقولها وقد هددتها بالفضيحةِ أمامَ العالمِ والناسِ، اتضحَ بعد ذَلِكَ بأنها رجلٌ وليست فتاةَ، لم تعرف ماذا تقولُ أو تفعل، لكنها اتخذت قراراً بأخبار أهلها وإنَ للفضيحةِ أن تكونَ عنوانَ، خرجت من غرفتها مثقلةٌ بالهمومِ كما الجِبالَ، جلست بجانبِ والدها ووالدتها وقالت لهما بكل توترٍ وعنفوانَ:

– أبي، أمي، هل أقول لكما شيءً وتُسامِحاني

نظرَ لها والدها نظرةَ الشكِ كما الذِئابِ لكنهُ أنتظرَ أن تقول ما بجوفها كي يجعلها كالجاريةِ التي تُضرب على أتفهِ الأشياءِ:

– منذ عدة أسابيعٍ تعرفتُ على فتاةٍ على الإنترنت وقد أصبحنا صديقتين لكن اتضح بعدها أنها ليست فتاة وأنه رجلٌ يمسِكُ عليّ كلامً كثيراً ويهددني

وقبل أن تكمل كلِماتها نهضَ والدها على عجّلٍ، وأتى بعصىً كالوتدِ، أبرحها ضربً وهيَ كالجسدِ الذي مرَ عليهِ العمر، قال والوجهُ ينتفِضُ وعيناهُ بالسوادِ كأنهُ عاهِرٌ يستمتِعُ بالتعذيب:

– كاذبة، وستأكلين الطعامَ في وعاءِ الكلاب لكذبكِ هذا أيتها المُنَافِقةُ المُحْتَالة، حتى تتعلمي معنا الصراحة ستأكلين في هذا الوعاء

نظرت والدتها بنظراتٍ خاويةٍ من المشاعر يا ويلتاه، صرخت الفتاةُ من الوجعِ والمعاناة، زحفت لغرفتِها وعيناها تقطر مياهً سوداء، أغلقت البابَ بالمفتاحِ وتكومت كالجثةِ المغطاةِ بالدماء، اسواء ألمٍ يمرُ بهِ الإنسان عندما ينكسِرُ ظهرهُ من والِداه.

(مُثْاب)

أيعقل حقاً أن أكون قد دمرتُ أبنتي بيدايْ هذه, بالطبع لا فأنا أضربها كي أحميها من شرور الحياة, ذهبتُ لغرفتها كي أرى إن كانت نائمةً أم لا, وجدتُ البابَ مُوصداً بالمفتاح, كان معي نسخةً أخرى منهُ ففتحتُ البابَ ببطءٍ كاللصِ الذي ينتوي السرقة في هذا الليلِ الطَسَم, رأيتُ الويلاتَ, أبنتي عاريةُ الجسدِ وتلتقط الصور لنفسها في الظلامَ, أندفعَ الدمُ في عقلي وتحولتُ لثورٍ قاتلٍ يقتل الجبناء, دفعتُ البابَ وأنا على وشكِ دفنها في الأرجاء, ضربتها بيدي على وجهها فسقطت على الأرضِ وهيَ تتوسلُ أن لا أضربها, نظرتُ لشاشة الحاسبِ الآلي وجدتُ محادثات تهديدٍ من المنحلِ ذاك, جلبتُ ملابساً لها كي تستر نفسها وأجلستها على الكرسي وقلت لها بحزنٍ بلغَ أعالي السماءَ:

– أعرف أني عذبتكِ كثيراً يا (شَيْب) وأعرف كم الألم الذي بداخلكِ, لكن أعذري هذا العجوز على ضربهِ لكِ طيلة هذه

السنوات يا بُنيتي، سامحيني فأنا نادِمٌ على كل شيء حصل لكِ بسببي، وأنا الذي أوصلتكِ لهذه الفعلة بغبائي

نظرت لي نظرتً لن أنساها ما حييت في هذا الكونِ والزمان وقالت بجسدٍ يرتجف وعيان تملؤهما الدِماء:

– فات أوانُ هذا الكلام يا أبي، كل ليلة أبكِ في حجرتي وأقول لِمَ يضربني ماذا فعلت لهُ كي يضربني وماذا فعلت لوالدتي كي تلقي عليّ أقذع الشتائم ولم أعرف السبب، أنتَ لا تعرف شيءً عنّي ما تعرفه هو القسوة فقط، أنتَ وأمي تعذباني طيلةَ السنواتِ العُجاف، لم أرى منكما حنانً قَط، وهذا ما وصلتُ لهُ بسببكما أن شرفي كادَ يضيع على يدي عاهرٍ يهددني، وعندما قلت لك ضربتني وقلت لي كلي في وعاء الكِلاب لأنكِ كاذبة، لقد انتهينا هُنا، أنتَ لا تستحق أن تكونَ والدً لذلك سأترك لكَ وأمي البيتَ وأعيشُ عندَ صديقتي، وإن نطقتَ بحرفٍ واحد فسأقتل نفسي في الحال

بكيتُ على ما جرى لأبنتي الوحيدة، أنا من دمرتها وسقيتُ الخوفَ في قلبها، أنا لستُ بإنسان أنا وحش يقتل قلوبَ الناس، يا ويحتاه من قلبي المحطمِ الآن.

خرجت الفتاةُ بحقيبتها محملةُ الأحزان, شاردةً في الطرقات, والدها خلفها بأمتار, خائِفٌ عليها من الأقوياء, شاردةٌ والسيارةُ أمامها وقلب الأب يكاد ينخلِعُ يا ويلتاه, قال بصوتٍ مبحوحٍ وهو يجري قبل أن تصدم السيارةُ الفتاة:

– شَيْبَ حاذري السيارة ستصدمكِ

أزاحها من أمام السيارةِ وقد فارقته الحياة بعد أن صدمهُ الرجلُ بالسيارة, هرولت نحوهُ شَيْبَ والدموع تتأرجح مثل عازفِ قيثارةٍ يبكي من المعاناة, تركتهم السيارةُ مبتعِدةً قدرَ الإمكان, وجدت نبضهُ ضعيفً جداً فقالت مرتعِبة:

– أبي أرجوك إبقى معي ليس لي سواك, لا تمُت أرجوك

قال لها وقلبهُ سيفارق الحياة:

– كل ما فعلته يا شَيْبَ كان لأجل حمايتكِ؛ ولأنني أحبكِ كثيراً يا أبنتي الحبيبة, لا تتركِ والدتكِ أبداً يا فتاة, وسامحيني على أهانتكِ دوماً يا غاليتي, أشهد أن لا إله إلا اللّٰه وأن محمد رسول اللّٰه

وقد فارقة روحهُ السماء, قالت الفتاة بنحيبٍ كالأطفال:

– أفق يا أبي لا تتركني أرجوك, سامحتك حقاً لكن لا تتركني، أبي لماذا تركتني وحيدةً, أبي

قالت كلمتها الأخيرةُ بصراخٍ وعويل, أغلقت عيناه, وجلبت الماء لغُسله, ودفنتهُ وهيَ قائلةٌ ببكاء:

– النهايات التعيسة تعلمنا

أن البدايات حقاً زائفةٌ لأبعد الحدود, أن البداياتِ بمائةِ وجهٍ والنهايات هيَ عُمق الحقيقة, النهايات بداياتٌ لفصولٍ جديدة.

* * *

تمت

23/8/2022

مالك أمير

تابعوا الكاتب على:

Wattpad

للتواصل مع الكاتب على:

Facebook

Instagram

Twitter

Gmail